

## التحرير والتنوير

روي عن ابن عباس أنه قال ( كان إذا نزلت آية فيها شدة ثم نزلت آية ألين منها يقول كفار قريش : وإني ما محمد إلا يسخر بأصحابه اليوم يأمر بأمر وغدا ينهى عنه وأنه لا يقول هذه الأشياء إلا من عند نفسه ) اه .

التبديل من فالمراد . الآية هذه معنى حاصل في المفسرون قاله ما أحسن الكلمة وهذه A E في قوله تعالى ( بدلنا ) مطلق التغيرات بين الأغراض والمقامات أو التغيرات في المعاني واختلافها باختلاف المقاصد والمقامات مع وضوح الجمع بين محاملها . والمراد بالآية الكلام التام من القرآن وليس المراد علامة صدق الرسول A أعني المعجزة بقريظة قوله تعالى ( وإني أعلم بما ينزل ) .

فيشمل التبديل نسخ الأحكام مثل نسخ قوله تعالى ( ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ) بقوله تعالى ( فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ) . وهذا قليل في القرآن الذي يقرأ على المشركين لأن نسخ الأحكام إنما كثر بعد الهجرة حين تكونت الجامعة الإسلامية . وأما نسخ التلاوة فلم يرد من الآثار ما يقتضي وقوعه في مكة فمن فسر به الآية كما نقل عن مجاهد فهو مشكل .

ويشمل التعارض بالعموم والخصوص ونحو ذلك من التعارض الذي يحمل بعضه على بعض فيفسر بعضه ويؤول بعضه بعضا كقوله تعالى ( والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض ) في سورة الشورى مع قوله تعالى ( الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ) في سورة المؤمن فيأخذون بعموم ( ويستغفرون لمن في الأرض ) فيجعلونه مكذبا لخصوص ( ويستغفرون للذين آمنوا ) فيزعمونهم إعراضا عن أحد الأمرين إلى الأخير منهما .

وكذلك قوله تعالى ( واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ) يأخذون من ظاهره أنه أمر بمتاركتهم فإذا جاءت آيات بعد ذلك لدعوتهم وتهديدهم زعموا أنه انتقض كلامه وبدا له ما لم يكن يبدو له من قبل .

وكذلك قوله تعالى ( وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ) مع آيات وصف عذاب المشركين وثواب المؤمنين ) .

وكذلك قوله تعالى ( ولا تزر وازرة وزر أخرى ) مع قوله تعالى ( ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ) .

ومن هذا ما يبدو من . تخالف بادئ الأمر كقوله بعد ذكر خلق الأرض ( ثم استوى إلى السماء

( في سورة فصلت مع قوله تعالى ( والأرض بعد ذلك دحاها ) من سورة النازعات فيحسبونه  
تناقضا مع الغفلة عن محمل ( بعد ذلك ) من جعل ( بعد ) بمعنى ( مع ) وهو استعمال كثير  
فهم يتوهمون التناقض مع جهلهم أو تجاهلهم بالوحدات الثمانية المقررة في المنطق .  
فالتبديل في قوله تعالى ( بدلنا ) هو التعويض ببديل أي عوض والتعويض لا يقتضي إبطال  
المعوض " بفتح الواو " بل يقتضي أن يجعل شيء عوضا عن شيء . وقد يبدو للسامع أن مثل لفظ  
المعوض " بفتح الواو " جعل عوضا عن مثل لفظ العوض " بالكسر " في آيات مختلفة باختلاف  
الأغراض من تبشير وإنذار أو ترغيب وترهيب أو إجمال وبيان فيجعله الطاعنون اضطرابا لأن  
مثله قد كان بدل ولا يتاملون في اختلاف الأغراض . وقد تقدم شيء من هذا المعنى عند قوله  
تعالى ( ائت بقرآن غير هذا أو بدله ) في سورة يونس .  
و ( مكان آية ) منصوب على الطرفية المكانية : بأن تأتي آية في الدعوة والخطاب في مكان  
آية أخرى أتت في مثل تلك الدعوة فالمكان هنا مكان مجازي وهو حالة الكلام والخطاب كما  
يسمى ذلك مقاما فيقال : هذا مقام الغضب فلا تأت فيه بالمزح . وليس المراد مكانها من  
ألواح المصحف ولا بإبدالها محوها منه .  
وجملة ( وإِذْ أَعْلَمَ بِمَا يَنْزِلُ ) معترضة بين شرط ( إِذَا ) وجوابها . والمقصود منها تعليم  
المسلمين لا الرد على المشركين لأنهم لو علموا أن اِذْ هو المنزل للقرآن لارتفع البيهتان .  
والمعنى : أنه أعلم بما ينزل من آية بدل آية فهو أعلم بمكان الأولى ومكان الثانية ومحمل  
كليتهما وكل عنده بمقدار وعلى اعتبار .  
وقرأ الجمهور ( بما ينزل ) " بفتح النون وتشديد الزاي " . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو  
" بسكون النون وتخفيف الزاي "